مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 13 العدد: 04 السنة 2021 ص 398 - 414

تاريخ الإرسال: 202/09/25 تاريخ القبول: 2020/11/11
تاريخ النشر: 2021/10/11

صورة الآخر في الرواية العربية "موسم الهجرة إلى الشمال"للطيب صالح أنموذجاً

the image of the other in the novel "The Season of Migration to the North"tayeb saleh

د. لطيفة يوسفات
جامعة بالجلفة (الجزائر) Adabyat2020@yahoo.com

الملخص:

في هذا المقال نتحدث عن صورة الآخر في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح تلك الصورة التي عكس من خلالها طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر، أو" الشرق والغرب" حيث تميزت بالحياد حيناً، وبالسلبي حيناً آخر،و بالإيجاب أحياناً أخرى؛ هدف الطيب صالح من كل ذلك أن يبعث رسالة للأجيال بأن تتمسك بالوطن وبالقيم الصانعة للشخصية الإنسانية الفاعلة التي تسعى إلى التغيير نحو الأفضل دون الذوبان في الآخر.

الكلمات المفتاحيّة: الأنا، الآخر، الهجرة ، مصطفى سعيد ، جين موريس، لندن، السودان

Abstract:

In this article, we talk about the image of the other in the novel The Season of Migration to the North by Al-Tayeb Saleh, which reflects the nature of the relationship between the ego and the other, or "East and West" that relationship was characterized by impartiality, and passive at other times, and

affirmative at other times. the aim of al tayeb saleh from all of this to send a message to the rising generations, To adhere to the homeland, and to the values that create the active human personality that seeks change for the better without melting into the other.

Keywords: (ego- The other one- Mustafa Said- Immigration- Jane Morris- Sudan- London.

المؤلف المرسل: لطيفة يوسفات، الإيميلADABYAT2020@YAHOO.COM

1.مقدمة:

شهدت الرواية العربية تطورات عديدة على مستوى الشكل والمضمون، مما جعلها تحتل الصدارة في الدراسات الأدبية والنقدية، ضاهت شقيقاتها من الأصناف الأدبية الأخرى، كالشعر على سبيل الذكر، ومن ثمة أصبحت الرواية الإطار الحاوي للحياة الإنسانية بما فيها من مشاكل وهموم،فشملت المسموح والممنوع، والمسكوت عنه والمنطوق، والضيق والواسع، والواضح والغامض.

ومن بين المواضيع التي عالجتها الرواية العربية، موضوع الأنا والآخر، (أو الشرق والغرب)، وقد حاولنا في هذا المقال تتبع هذه القضية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح؛ فمن هو الآخر حسب الطيب صالح؟ وكيف جسد الطيب صالح العلاقة بين الأنا والآخر؟

وقد حاولنا الإجابة عن ذلك من خلال العناصر التالية:* مفهوم الآخر. * مفهوم الأنا. * صورة الآخر في الرواية العربية (رواية موسم الهجرة إلى الشمال أنموذجاً

2. مفهوم الآخر:

الآخر هو" الغير، كقولك رجل آخر، وثوب آخر،..ومعنى آخر شيء غير الأول). [1] ويعني في الغالب كل ما هو غير النفس المستقلة، بمعنى كل ما هو

غير نفسي أنا، ومن ثمة فإن أي واحد مختلف دينياً، عرقياً، أو ثقافياً يمكن أن يكون الآخر، بل هو في الواقع آخر بكل ما يعنيه الاصطلاح، وبالتالي يمكنه أن يؤثر ويفعل ويلعب دوراً ويمكنه وأن يكون صديقاً أو عدواً مناقضاً ، أو مماثلاً؛ لذلك قال سارتر: "أنا في حاجة إلى توسط الآخر لأكون ما أنا عليه."[2]

إن تعريف الآخر يحيلنا إلى تعريف الأنا؛ إنهما وجهان لعملة واحدة، فعلاقة كل منهما جزء وشرطاً لوجود الآخر واستمراره، وعليه فإن صورة الآخر ليست هي الآخر نفسه بل مفهومه وانعكاسه في الذات. [3]

3. مفهوم الأنا:

الأنا هي الذات أي الشخصية الإنسانية ، وما تحمله من مظاهر وخصائص ثقافية نفسية أو إيديولوجية، وما تشتمل عليه من أفكار وآمال وطموحات وصراعات وتوترات؛ إنها مركز الشعور عند الإنسان.[4]

4._صورة الآخر في الرواية العربية " موسم الهجرة إلى الشمال " أنموذجاً:

إن الصورة هي مجموعة من الأحكام التصورات والانطباعات القديمة المتوارثة والجديدة والمستحدثة الايجابية ومنها والسلبية التي يأخذها شخص أو جماعة عن آخر، ويستخدمها منطقاً وأساساً لتقويمه لهذا الشخص ولتحديد موقفه وسلوكه إزاءه، والصورة الذهنية شديدة الصلة بالموقف ويؤثران معاً على التفاعل؛[5] وقبل الحديث عن صورة الآخر في الرواية العربية سنتحدث عن العوامل الخارجية (الغربية) التي أثرت في الرواية العربية كما ساهمت أيضاً في رسم معالمها.

1.4 العوامل الخارجية التي ساهمت بلورة صورة الآخر في الرواية العربية:[6]

بدأت قضية الآخر تتصدر الرواية العربية في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي،وذلك مع تغلغل الاستعمار الغربي في العالم العربي[7] قصد التحكم فيه سياسياً واستغلاله اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً؛ كل ذلك مهد لأن تأخذ صورة الآخر

حيزاً كبيراً في الرواية العربية، ناهيك أن كل احتكاك بالغرب صورة من صور اكتشاف الذات، ومن أبرز الروايات في تلك الفترة نذكر روايات جرجي زيدان التاريخية الذي تأثر بروايات ألكسندر دوماس، وعليه فإن من أكثر العوامل الغربية تأثيراً في الرواية العربية نذكر الآتي:[8]

1.1.4 المعايشة والاختلاط والعلاقات التي تكون للكاتب، وخاصة حين تكون نتيجة دراسته في الغرب أو هجرته إليه، وهذا ما جعل بعض الكتاب يتعاملون بموضوعية مع الغرب والشخصية الغربية. كما في رواية " قنديل أم هاشم"، ليحيى حقي.

2.1.4 الصراع العربي الإسرائيلي، فقد كان لهذا العامل تأثيره الكبير في نظر الكتاب إلى العرب والغربيين وخاصة الأمريكيين، والانجليز إذ حملهم ذلك مواقف فكرية مسبقة وكثيرا ما رفضوا تجاوزها، فحملوهم بسبب ذلك الموقف غالبية ما لحق بالعرب من أذى. وقد أظهرت بعض الأعمال ذلك بشكل واضح مثل ما نراه في "تشرق غرباً" ليلى الأطرش.

3.1.4 الخلفية الفكرية والسياسية والاجتماعية والقومية والدينية، وهو العامل الذي كان له تأثيره في نظرة الكاتب إلى الغرب والغربيين، ومن ثم في رسمه لصورة الشخصيات الغربية كالصورة التي رسمت للمرأة الغربية، –فكانت عند الكثير من الأدباء والروائيين – غير ملتزمة وسهلة المنال لمن يريدونها (أبطال العرب) ورواية الطيب صالح "موسم الهجرة إلى الشمال" خير مثال على ذلك.

4.1.4 وسائل الاتصال والثقافة، والإعلام المتنوعة وهو أكبر عامل تشويهاً للصورة وإبعاداً للموضوعية في تعامل الكاتب مع العرب والغربيين كما في" يوميات علي سعيد" لعدنان رؤوف؛ وهكذا انشغل المفكرون العرب بقضية الشرق والغرب وسجلوا تجاربهم لدى ارتطامهم بالحضارة الأوروبية وحددوا مواقفهم ورؤاهم بالنسبة لهذه

العلاقة وأثارها ونتائجها. حيث عكست صدمة اكتشاف الآخر الأوروبي منذ وقت مبكر إلى زمن العولمة الحالي[9]، وتبعاً لذلك فإن الاهتمام بالغرب قد مر بمراحل وفقاً لطبيعة الاتصال نفسه من جهة ولمراحل تطور الرواية من جهة أخرى .

- المرحلة الأولى: كانت قبل الحرب العالمية الأولى عبارة عن وصف للغربي،أو لبعض جوانبه مع بيان الانطباعات الشخصية في شكل آراء، وأهم من مثلها رفاعة الطهطاوي في "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الانبهارية.

- المرحلة الثانية: وتبدأ بعد الحرب العالمية الأولى، وقد شهدت التأسيس الفني للرواية العربية وانفتاح العرب على الغرب، ولهذا تعد المرحلة التأسيسية لهذا الفن، كان من نتاجها "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس.

- المرحلة الثالثة: تبدأ من نكبة حزيران إلى حرب الخليج فهي امتداداً للمرحلة السابقة، إلا أنها أكثر استيعاباً لثنائية الشرق والغرب مما لمس عليهم من الاتزان والثقة في التعامل مع ذلك. وأهم روايات هذه الفترة رواية "ليلة في القطار" عيسى الناعوري، وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الحضارية، وبذلك توسعت صورة الغرب في الرواية العربية لتتجاوز تلك العلاقات القديمة، أو ذلك الحضور الضمني لتتجذر وجوداً كيانياً مصيرياً مندمجاً بالذات؛ فيصبح متعلقاً بقضية أعمق وأشمل هي قضية العلاقة بين الهوية والغيرية، هذه العلاقة التي تطرح عدة إشكاليات أهمها: من نكون؟ من نحن؟ ما هو نموذجنا الحضاري والتاريخي؟ ماذا يشكل الغرب بالنسبة لنا؟ كيف يمكن الانعتاق منه، وقد صار جزءاً منا ومن تاريخنا الذاتي؟ ما هو موقف المثقف العربي اليوم من الغرب؟ هل هو الهروب أم الحضور؟ وهل هي المغامرة المتهورة، أم التجربة الواعية؟[10]، من ثم فإن صورة الغرب في الرواية العربية بحث في الصورة والتصور الصورة كمجال فني إبداعي رمزي، والتصور كمجال فكري إدراكي عام.

وعندما نصل بالوعي الروائي بالغرب؛ فإنا نصل إلى الرؤية الروائية للغرب باستخلاص الرؤية للغرب يمكن استخلاص الرؤية إلى التاريخ.

إن طبيعة علاقتنا بالغرب في إطار الثقافة غامضة ومتشابكة ومتداخلة ذلك لأننا نهرول نحو حداثته في أذهاننا لإيجاد حداثة نظيرة في الشرق، وكأن العملية هي قص وتركيب.."[11]؛ والسؤال الذي يطرح نفسه الآن كيف صور الطيب صالح الآخر في روايته " موسم الهجرة إلى الشمال " ؟

تعتبر رواية موسم الهجرة إلى الشمال من أشهر الروايات العربية المعاصرة[12]، واهتم بها الكثير من الباحثين والنقاد." فنحن أمام نص قوي عرف كيف يفرض نفسه على مختلف طبقات القراء لامتلاكه قوة لا محدودة تمكنه من التحرك في الزمان، ومن قابلية لا نهائية للقراءة والتأويل"[13]، وقد أجمعت جل الدراسات التي تناولت هذه الرواية[14] على أنها تطرح موضوع الصراع الحضاري بين الشرق والغرب في المقام الأول، فهي تبرز القصة التاريخية لعملية التحديث في الشرق العربي قصة طلاب مبعوثين إلى الغرب، لا يلبثون أن يعودوا بقيم وأفكار وتقنيات جديدة تغير من وجه الحياة وتنتج التقدم والألم في آن واحد.

تركز رواية الطيب صالح على بطلها مصطفى سعيد الذي ولد في السودان، وتعلم في مدارسها الابتدائية.وإتقانه اللغة الانجليزية، ثم ذهابه في بعثة إلى مصر حيث يهتم به مستر روبنسون وزوجته، ومن مصر يذهب إلى لندن حيث يحصل على ثقافة واسعة ويؤلف كتباً في الاقتصاد السياسي، ويحاضر في جامعاتها، ويقيم علاقات مع النساء، ومن خلالها يفرغ حقده على الغرب وينتقم لشرفه بتعذيبهنوقتلهن بما فيهن جين موريس التي تزوجها عن حب، ثم يحاكم مصطفى كمجرم، ولكن لا تصدر بحقه عقوبة الإعدام التي يستحقها.

بعدها يعود إلى قريته بالسودان ليستقر فيها ويؤسس عائلة مع المرأة التي اختارها، وبعد الاستقرار الذي عاشه تنتهي حياته غرقاً في النهر، ونلاحظ مما سبق أن المشكلة تكمن أساساً في التصوير الذي قدمه الروائي لشخصية مصطفى سعيد بطل الرواية، والتفسيرات التي قدمها لبواعث سلوكه؛ فلم يشأ الطيب صالح أن يجعل من بطله مصطفى سعيد شخصية نمطية بسيطة تجسد قيم الشرق في لقائها الصدامي بالغرب،وإنما شاء أن يجعله شخصية معقدة متفردة ذات دوافع مركبة متداخلة،لها حركية خاصة بها،يصعب التنبؤ بها ومستقلة عن أي إطار ذهني مسبق، وتفسير ذلك أن الطيب صالح يقدم لنا بطله مصطفى سعيد من البدء مثالاً خارجاً على العقلانية والبرود العاطفي، واللا انتماء إلى أية قيمة روحية أو أخلاقية أو اجتماعية، هو كائن مجتث الجذور تماماً من طفولته، ويبدو ذلك من أول صفحات الرواية[15] من خلال قراءة الرواية يتجلى لنا أن الأنا والآخر يتعددان بحسب تموقع البطل أي المكان الذي يعيش فيه،وذلك ما يؤكد طاهر لبيب بقوله: " هكذا يقدم الآخر نفسه كل مرة في كينونة مختلفة تبعاً للزاوية التي وضع فيها صاحب الدعوى لكن نسبية الآخر هذه لا تقتصر على التفاوت في المستويات إنها تتوغل أحياناً في اختلاف المدلولات والمضامين"[16]، وبالتالي لا تظهر صورة الآخر في الرواية بشكل نمطي واحد،بل تبدو بأنماط متعددة ومتبدلة.

وعليه فإن أي مكان يعيش فيه البطل أو يتواجد عليه ينعكس على أداءه ودوره في ذلك المجتمع،وهذا ما يؤكده الدكتور أحمد محمد بدوي بقول:" الجوهر واحد هو الإنسان، الوسط هو الذي يشكل تاريخ الإنسان من خلال تفاعل الإنسان مع ذلك الوسط، فاختلاف الوسط نشأت عنه صورتان مختلفتان متناقضتان، الإنسان هو مصطفى سعيد في وسط لندن ووسط القرية، لكن الحصيلة الناتجة من تفاعله مع كل وسط مغايرة للأخرى في الاتجاهومضادة لها في الخصائص"[17]

- الأنا قبل الهجرة (قبل الرحيل)

البطل في هذه الفترة إنسان يعيش في عالم خاص؛ وهذا الأمر يستدعي الوقوف ملياً عند شخصيته؛ فهو من مواليد الخرطوم عام 1898م وتوفي عام 1956م وهنا تبرز العلاقة بينه وبين الاستعمار الانجليزي في السودان، ولادته تزامنت مع احتلال السودان ووفاته إثر استقلال السودان، ويروى أنه ولد في مدينة وهمية مقحمة على الواقع السوداني لا جذور لها، ينتمي إلى أبوين بعيدين عن الوسط الذي عاشا فيه لا أهل ولا أقارب "لم يكن لنا أهل.."[18]، يفقد البطل أباه وهو طفل صغير، ونحن نعرف بأن فقدان الأب يعني فقدان الحامي والمرشد والمربي الذي يربي فيه النضج والتوازن الرجولة والاستقلالية، وأما علاقته مع أمه فكانت علاقة جافة خالية تماماً من مشاعر الأمومة، كانت باردة الأحاسيس ترتدي قناعاً أو مجموعة أقنعة لتضيف بعداً مهما إلى تكوينه " كانت بئر بلا ماء وينبوع بلا حنان مخلوقان غريبان يعيشان في بيت واحد .."، وبالتالي هذه الأم لم تشبع رغباته النفسية بالحنان والحب والأمان والانتماء، لذلك كان يشعر دائماً بالحرية على حد قوله: "..وكنت ولعلك تعجب أحس إحساساً دافئاً بأنني حر، وبأنه ليس ثمة مخلوق أب أو أم يربطني كالوتد إلى بقعة معينة ومحيط معين." ويضيف :" كنت أقر وأنام وأخرج و أدخل ،ألعب خارج البيت اتسكع في الشوارع ليس ثمة أحد يأمرني أو ينهاني؛ فغدا بذلك مصطفى سعيد شخصية تدل على الإنبتات عن المكان؛ إنه نموذجاً لما يسمى شذاذ الآفاق .[19]

فعلاقته بأمه هي توأم علاقته بالخرطوم علاقة العابرة غير المقيم ،سطحية فجة وأحسن تمثيل لذلك عندما يصف البطل لنا لحظة مغادرته بلده الخرطوم وفراقه لأمه. كان فراق عادي لا يمت بصلة لفراق الابن لامه: " كان وداعنا ..لا دموع ولا قبل ولا ضوضاء، مخلوقان سارا معاً، ثم سلك كل منهما سبيله، .. ركبت القطار .. لم يلوح لي أحد بيده، ولم تنهمر دموعي لفراق أحد"، وعليه فالأنا هنا شخصية

حيادية غريبة عن الآخر (الأم /والوطن– الخرطوم)، والغريب حتى عندما ماتت أمه لم يهتز إحساس البطل، ولم يشعر بالألم كان في لندن يعيش حياة أخرى على حد قوله: "تبأ وفاة أمي وصلني وأنا في سكران .. لم أشعر بأي حزن."[20]، إنه بلا قلب كالآلة؛ فليس عجيباً أن يشبه نفسه (البطل) بكرة المطاط التي لا تتأثر بشيء تلقيها في الماء تبتل، وترميها على الأرض فتقفز.

وما نتوصل إليه هنا أن العلاقة بين الأنا والآخر هي علاقة انفصال(حياد)، و نوضح ذلك في الآتي:

الأنا (انفصال/حياد) الآخر(الأم /الوطن)

العزلة /الوحدة/ الحرية ≠ لا إحساس/لا حنان /لا عطف/ لا حب

- <u>الأنا أثناء الهجرة (في المهجر)</u>:

يسافر البطل إلى لندن بثقافته الغربية يحدوه شعور بالحرية والانطلاق بشخصية خالية من كل المشاعر الايجابية كالحب والتعاطف، ويغلب عليها المشاعر السلبية كفقدان السعادة الداخلية والرغبة في الانتقام، هذا التناقض يمثل قمة الانفصال بين العقل والقلب كان فارغ القلب لا يجد شيء يشده إلى وطنه ولا أهله، ولا حتى للعائلة التي احتضنته "مستر روبنسون"، فقد قال مرة أنه لا يشعر بما يشعر به أصدقائه " كنت أحس بأنني.. مختلف. أقصد أنني لست كبقية الأطفال في سني، لا أتأثر بشيء، لا أبكي إذا ضربت، لا أفرح إذا اثنى على المدرس في الفصل، لا أتألم لما يتألم له الباقون"؛ إنه باختصار رجل بلا شعور آلة صماء إنه عقل بلا روح بلا جذور بلا عاطفة تشده إلى أي مخلوق على الأرض؛ وقد كان مصدر قوته(سلاحه) عقله الذي يقول عنه:" كان عقلي مدية حادة تقطع في برودة وفعالية" ويضيف "كان سلاحي هذه المدية الحادة في جمجمتي، وفي صدري إحساس بارد جامد كأن جوف صدري مصبوب بالصخر." ومن ثم انعكست برودة العقل على

برودة المشاعر بما أن الأفكار هي خزان المشاعر والأفعال؛ لذلك كانت مسز روبنسون تقول له دائماً "ألا تستطيع أن تنسى عقلك أبداً ؟" ومعنى ذلك أنه مفرط في العقلنة لدرجة أن المحيطين به لاحظوا ذلك ، وهاهو ذا يصف لنا سر شعوره الدائم بالسعادة والانطلاق وعدم الارتباط بالمكان (الوطن)، وهو في طريقه إلى لندن بقوله: " استمرأت طول الرحلة ذلك الإحساس في أني في لا مكان وحدي أمامي وخلفي الأبد .."، يرحل مصطفى إلى الغرب غازياً خصوصاً بعد العنصرية التي واجهوه بها هناك، فكان موقفه من الغرب موقفاً بالغ التعقيد، حيث يندمج الإعجاب والهيام بالحقد والانتقام، وحيث يمثل البطل الضحية والسفاح والعاشق، كما كان موقفاً عنيفاً شديد الحساسية لسواد لونه كما يرى معظم الذين كتبوا عن الرواية.

ويرجع هذا العنف أيضاً إلى طبيعة الوهم الذي يطغى على تصورنا لهم وتصورهم لنا، وهذه الأوهام عندنا، وعندهم خلقت كثيراً من المآسي، ومن ثم فإن مصطفى كان يتصرف بإحساس مضاد فيه شيء من البحث عن الثأر، ومن هنا جاءت شخصية عطيل في الرواية، واقترانها بالبطل لقد اتخذ مصطفى من علاقته بالآخر(الغربيات: آن همند، شيلا غرينود، جين موريس، إيزابيلا سيمور) سلاحاً في غزوه للغرب، فقد انتحل أدوار مختلفة(حسن، تشربارلز، أمين، رتشارد)؛ فعن آن همند يقول البطل أنها كان تشاطره التفكير الشرقي: (....لقيتها،وهي دون العشرين، تدرس اللغات الشرقية في اكسفورد. كانت حية، وجهها ذكي مرح وعيناها تبرقان بحب الاستطلاع...).[21]،

ويضيف أنه كان يخدعها ويمثل عليها دور الفارس المغوار، (..،فخدعتها، وغررت بها، وقلت لها نتزوج زواجاً يكون جسراً بين الجنوب، وحولت جذوة التطلع في عينيها الخضراوين إلى رماد).[22] وعن شيلا غرينود فإنها كانت :(خادمة في

مطعم في سوهر،بسيطة حلوة المبسم،حلوة الحديث،أهلها قرويون من ضواحي هل).[23]

أما عن إيزابيلا سيمور فكانت :(..امرأة في حدود الأربعين مهما حدثت لها من التجارب فإن الزمن قد عامل جسدها بحنو، التجاعيد الدقيقة على جبهتها وعلى أركان فمها لا تقول لك أنها شاخت، بل تقول إنها نضجت) [24]، وكانت جين موريس ذات الجمال الفائق والشخصية القوية،(...وجه مستطيل لامرأة واسعة العينين حاجباها ينعقدان فوقهما. الأنف يميل إلى الكبر والفم يميل إلى الاتساع والتعبير على الوجه شيء يصعب،وصفه في كلمات تعبير رهيب محير. الشفتان الرقيقتان مطبقتان كأنها تعض أسنانها والفك مائل إلى الأمام بكبرياء).[25]، الشخصية الوحيدة التي أثارة فضول وحب البطل وكان صادق معها فحاول أن يتقرب منها لسنين (..لبثت أطاردها ثلاثة أعوام).[26] لقد افقدته صبره (أنا الملاح القرصان، وجين مورس هي ساحل الهلاك).[27]ولم يعد يرى سواها (..لم أعد أرى، أو أعي إلا هذه المصيبة الفادحة التي رماني بها القدر هذه المرأة هي قدري، وفيها هلاكي).[28] كما انه كان يدرك أن نهاية المعركة ستكون مؤلمة جداً (...وقد كان حتماً أن يصطدم طالعي بطالعها، وأن أقضي في السجن أعوام وأضرب في الأرض أعواماً، أطارد خيالها ويطاردني. وذلك هو الإحساس بأنني في لحظة خارج حدود الزمن... وأطللت في عينها على الجحيم. إنه شعور لا يمكن لإنسان أن يتصوره).[29]، من كل هذا يمكن القول إنه لم تكن علاقة البطل بالغربيات علاقة حب حقيقية،بل علاقة حسية قائمة على الاستغلال، وهذا ما جعل تلك العلاقة تتسم بالعقم، أما الطرف الآخر فيتميز بأنانية طاغية تهدف إلى استغلال الرجل الإفريقي، لذلك فشلت علاقته بهن فشلاً إنسانياً، وقد أثبتت جين موريس فشل غزوه، فهذه الأخيرة هي الوحيدة التي

أحبها البطل وتزوجها بعد ثلاثة أعوام من المطاردة، وحتى بعد أن قبلته زوجاً لم تكف عن تعذيبه والتنكيل به، وتكيد له حباً وكراهية.

إنها خلاصة في قمة التعقيد،تلك هي العلاقة مع الغرب،كراهية ممزوجة بحب غامض، فلماذا قتل البطل جين موريس؟، لقد اختلف الدارسون في تفسير ذلك فهناك من اعتبر قتله لها قتلاً للاضطهاد الأوروبي، أي نوع من الانتقام، وهناك من جعله أداة لإدانة أطماع الغرب، وهناك من علله بأن البطل لم يستطع أن ينشئ معها علاقة حميمة،تجعله يشعر بأنه يمتلكها من داخلها، وآخر يرى بأنه لم يقبل بدوره، لقد كان يمثل دوراً، وكان يربط نفسه بوهم كبير، المهم أن تجربته مع الغرب كانت فاشلة وعقيمة.

نتيجة كل ذلك أن البطل لم يكن يعيش حياة سوية بل كان يلبس قناعين مختلفين كقناع أمه،قناع في النهار يحيا به حياة الأكاديمي الناجح، وآخر في الليل يحيا به حياة الإنسان الفاشل الممزق (الغازي). وبالتالي تعدد الأنا عند البطل الأنا الناجحة الواثقة من نفسها، والأنا المهزوزة المدمرة التي تنشر الفساد والدمار على الأرض أنتجت شخصية سلبية عدوانية، تسعى للانتقام من الآخر الذي تتعدد بدوره والممثل في الغربيات اللواتي يفتن بالمظاهر الخداعة، وعليه يمكن توضيح علاقة الأنا بالآخر كالآتي:

الأنا	(تنافر/سلبي)	الآخر
البطل	انتقام	الانجليزيات
غازي	≠	ميدان المعركة
ثقافة واسعة	≠	أكذوبة الشرق
حياة النهار	≠	حياة الليل
قيم وعادات غربية/مستحدثة	≠	حرام/لم تثمر

حياة ≠ موت

– الأنا بعد الهجرة (بعد العودة):

تتحول الأنا هنا من شخصية سلبية منتقمة إلى شخصية ايجابية متزنة مستقلة تمارس فعل التغيير،وتسعى لتطوير الآخر (بلادها/ السودان)؛ بحيث تتحول العلاقة هنا من علاقة انفصال (في الفترة الأولى) إلى علاقة انسجام، وكما نلاحظ أن البطل قد بلغ من العمر عتياً ليصل إلى مرحلة الرجاحة والاتزان؛ بعد سنوات كثيرة خاض فيها تجارب ومعارك عديدة في الغرب لندن يعود إلى القرية في السودان بلده الأصل(رحم الأم)، محاولاً الاستفادة من مؤهلاته المعرفية والعلمية في تطوير بلده على المستويين الاقتصادي،والاجتماعي يمارس فعله بسلوك له طابع الثقة والانتظام ،فلقد اختصر الجد البطل في هذه الكلمات بقوله: "غريب جاء منذ سبعة أعوام اشترى مزرعة، وبنى بيتاً وتزوج بنت محمود،رجل ."[30]

ومن ثم فقد كان استثمار البطل ناجحاً جداً على الصعيدين العام والخاص،العام بأن وظف ثقافته ومكتسباته المعرفية في إصلاح وتطوير بلده نحو الأفضل؛فمن المزارع إلى الحقول ومن السواقي إلى آلات لضخ الماء؛ فبدأت القرية تعرف النور، وتشتهر بمنتجاتها التي لاقت إقبال ورواج كبيرين،–وبهذا كان التغيير السطحي–. أما على الصعيد الخاص فقد كان زواج من حسنة يمثل الحب الحقيقي، والبديل للحب الغربي الاستهلاكي، والدليل على ذلك أنه كان مثمر على غرار زواجه بالأجنبيات الذي توج بالفشل والموت؛ بيد أن هنا سؤال يطرح نفسه بشدة لماذا انتهت حياة زوجته "حسنة" نهاية مأساوية رغم الحياة السعيدة التي عاشها معها؟.

لقد قلنا في البداية أن مصطفى سعيد عندما دخل قرية " ود حامد" كان يحمل معه بذرة التغيير والتقدم؛ لذلك كان سهلا عليه كسب حب وعطف أهلها؛ لأنه جاء مزارع مثلهم، أو أن ارتباطه بحسنة جعله ينقل إليها هي أيضا بذور التغيير،

جعلها ترفض الرجوع إلى الخلف وعدم الارتباط بأي شخص آخر، فعندما فُرض عليها زوجاً آخر قتلته و قتلت نفسها، هذا الحادث الذي خلفته وراءها اهتزت له ود حامد وصدمت به القرية؛ فالتجديد لازم وضروري لكل مجتمع، وهو وإن اصطدم بعادات الناس وتقاليدهم، فإنما يكتب له الاستمرار والبقاء، كما أنه لابد مزعزع بعض الثوابت، التي ظن الناس أنها أصبحت ذات مناعة وحصانة[31]، وهنا كان التغيير الداخلي للأفكار والمعتقدات-. وعليه يمكن توضيح علاقة الأنا بالآخر كالآتي:

الأنا	(انسجام/ايجابي)	الآخر
البطل	التطور/التغيير	(حسنة/القرية)
مثقف/وواعي	≠	الاستقرار
قيم وعادات عربية أصلية(ثابتة)	≠	الحلال/اثمرت
الحياة	≠	الموت

5. الخاتمة:

وبعد استطلاع صورة الآخر في رواية موسم الهجرة للطيب صالح نستنتج ما يلي:

- أن الطيب صالح تعمد أثناء اختياره للبطل أن تكون شخصيته بهذا التعقيد والغموض حاول من خلالها تجسيد مأساة الرجل العصري المهموم.

- يؤدي المكان (مكان مهجور:القرية /و مكان مهجور إليه:المدينة) دوراً فعالاً في رسم صورة الأنا والآخر وتحديد علاقتهما.

- كانت المرأة الآخر (العربية/الغربية) الشخصية المحركة لفعل الأنا بكل المعايير وعلى جميع الأصعدة .

– تنوعت الأنا بحسب موقع البطل الأنا قبل الهجرة ، والأنا في المهجر والأنا بعد الهجرة في كل فترة أو مرحلة، اتخذ البطل علاقة مختلفة مع الآخر؛ ففي الفترة الأولى كانت علاقة حياد (انفصال)، وفي الثانية كانت علاقة سلبية (انتقام)؛ أما في الثالثة كانت علاقة ايجابية (تواصل).رحلة تشبه قطار الحياة الإنسانية (من مرحلة النمو الجهل بقيمة الأشياء مرورا بمرحلة الطيش الشباب،إلى مرحلة الكهولة الاتزان والرجاحة الكهول).

– إن علاقة الأنا بالآخر عند الطيب صالح علاقة عنيفة ومشحونة بالعقد والأوهام وممزوجة بالحب والكراهة معاً، علاقة بين طرف يطلب حقه في الوجود، وآخر أناني رافض بين طرف عنصري استغلالي.

– يدعو الطيب صالح من خلال بطل إلى ضرورة التمسك بالعادات والتقاليد، وإلى كل ما يربط بالأهل و الأرض، والتعامل مع الجديد بحذر بأخذ المفيد وترك الضار.

– وأخيرا إن الشرق شرق والغرب وغرب وفي كليهما خير كثير وشر كثير والعاقل من يتدارك أخطائه، ويستفيد من تجارب وخبرات الآخر، ليرتقي نحو الأفضل والأسمى.

6.المراجع

[1] ابن منظور، لسان العرب،دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1422هـ-2002م،حرف:الألف،مادة:الآخر،مج1/ 94-95.

[2] ينظر:محمد عابد الجابري،الإسلام والغرب،الأنا والآخر،..ومسألة الغيرية،مجلة الجابري،العدد:02،2015 م،ص22.

[3] ينظر:حسين العودات،الآخر في الثقافة العربية،(من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين)،دار الساقي،ط01 ،بيروت-لبنان، 2010م، ص 19.

[4] ينظر : سعد فهد الذويخ،صورة الآخر في الشعر العربي(من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي)،عالم الكتب الحديث،للنشر والتوزيع،ط01 ، اربد – الأردن ،1430 /2009م،ص7

[5] ينظر: ينظر:حسين العودات،الآخر في الثقافة العربية ،ص 11،نقلاً عن:أديب حضور ،صورة العرب في الإعلام الغربي،دمشق،بدون تاريخ،ص11.

[6] ينظر: نجم عبد الله كاظم،الرواية العربية المعاصرة و الآخر،دراسات أدبية مقارنة،عالم الكتب الحديثة،،جدارا للكتاب العالمي،ط01 ،اربد،الأردن،1427هـ – 2007م،ص52.

[7] الشرق: هو ذلك المكان الذي يعيش فيه أغلب العرب والمسلمين فيه أجزاء كبيرة من آسيا وأجزاء أخرى من أفريقيا (من أهمها الهند وإيران وماليزيا والمشرق العربي ودول المغرب العربي).أما الغرب:هو ذلك الاسم الذي يطلقه العرب والمسلمون على أوروبا وأمريكا الشمالية والذي تغلب عليه الديانة المسيحية.ينظر:نخبة من الباحثين،الشرق والغرب من الاستشراف إلى العولمة ، العارف للمطبوعات الحضارية للأبحاث،د.ط،د،ت،ص06-08.

[8] ينظر: نجم عبد الله كاظم، الرواية العربية المعاصرة والآخر،ص66.

[9] ينظر:نجم عبد الله كاظم،المرجع السابق،ص56-66.

[10] مصطفى عبد الغني،قضايا الرواية العربية(في نهاية القرن العشرين)،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،ط01، 1999م،ص86

11 إبراهيم أحمد ملحم،قراءة الآخر القصيدة العربية والنظريات الأجنبية،عالم الكتب الحديث،اربد –الأردن،2007م،ص16.

[12] ينظر:سامي سويدان،أبحاث في النص الروائي،دار الآداب،د.ط01،بيروت-لبنان،2000م،ص107.

[13] حسن المودن،لاوعي النص في روايات الطيب صالح(قراءة من منظور التحليل النفسي "دراسة نقدية")،تقديم:محمد برادة،المطبعة والوراقة الوطنية، ،ط01، مراكش،2002 م،ص53.

[14] ننوه هنا أن الرواية تنتمي إلى "تيار الوعي"(لأن معرفة تيار الرواية يساعد كثيرا في فكي خيوطها) أحد التيارات المتميزة في الرواية العالمية المعاصرة ،الذي ظهر ما بين عامي1913م-1915 تصب اهتمامها على العالم الداخلي النفسي للشخصيات بنظرية فرويد،ومن أهم سماتها الثورة على الحكاية،واستخدام الذكرى الانتقال بين الماضي

والحاضر ،وإضفاء التجربة،والغموض،والرمز ،والتكرار ،والمنولوج الداخلي،واللوازم..،وكذا الاستفادة من التركيبات الموسيقية والوعي التشكيلي،...وغيرها.

[15] رشيد العناني،استنطاق النص(مقالات في السرد العربي)،الدار المصرية اللبنانية،ط01،القاهرة،1426هـ-2006م،ص98.

[16] طاهر لبيب ،صورة الآخر العربي ناظر ومنظور إليه،مركز دراسات الوحدة العربية الجمعية العربية لعلم الاجتماع،ط01، بيروت- لبنان، 1999م ،ص 101.

[17] أحمد بدوي،الطيب صالح سيرة كاتب ونص،الدار الثقافية للنشر، ط01 ، القاهرة 1433هـ - 2002م ص13

[18] موسم الهجرة ،ص29.

[19] ينظر : أحمد بدوي،الطيب صالح سيرة كاتب ونص ،ص118.

[20] موسم الهجرة،ص 167

[21] موسم الهجرة إلى الشمال،ص40.

[22] موسم الهجرة ،ص 78.

[23] موسم الهجرة،ص44.

[24] موسم الهجرة،ص50

[25] موسم الهجرة،ص163

[26] موسم الهجرة،ص165

[27] موسم الهجرة ،ص168

[28] موسم الهجرة ،ص168

[29] موسم الهجرة ،ص161

[30] موسم الهجرة ،ص12

[31] ينظر :سيد حامد النساج،بانوراما الرواية العربية الحديثة،دار المعارف،ط01 ،القاهرة، 1980م، ص247.